الفقهاء الذين نافقوا الخليفة أبا جعفر المنصور، هم الذين هاجموا الإمام أبا حنيفة النعمان واتهموه بإنكار السنة وتكذيب الأحاديث التى اصطنعوها من أجل خدمة السلطة العباسية وتوفير الغطاء (الشرعي) لتصفية وقتل معارضيهم والتنكيل بهم.

الإمام أبو حنيفة - رضي الله عنه ـ كان حريصاً على صيانة الأنفس والدماء .. وكان بالقدر نفسه يرفض الأحاديث الكاذبة .. وعندما اتهموه بأنه ينكر السنة ويكذّب الأحاديث المنسوبة إلى رسول الله كان يقول: "ردي على كل رجل يحدث عن النبي بخلاف القرآن ليس رداً على النبي ولا إنكاراً لسنته المطهرة ولا تكذيباً، ولكنه رد على من يحدث عنه بالباطل" .

أيديهم على قبضات سيوفهم ثم قال: يا أوزاعى ما تقول فى دماء بنى أمية؟ فقلت: قال رسول الله: "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزانى، والتارك لدينه المفارق للجماعة" قال الأوزاعى: فنكت بها أشد من ذلك ثم قال: ما تقول فى أموالهم فقلت: إن كانت فى أيديهم حرام فهى حرام عليك أيضاً وإن كانت لهم حلالاً فلا تحل لك إلا بطريق شرعى، قال: فنكت أشد مما كان ينكت قبل ذلك ثم قال: ألا نوليك القضاء؟ فقلت: إن أسلافك لم يكونوا يشقون على ذلك وإنى أحب أن يتم ما ابتدؤنى به من إحسان، فقال: كأنك تحب الانصراف؟ فقلت: إن ورائى حرماً محتاجون إلى القيام عليهن وسترهن وقلوبهن مشغولة بسببى . قال الأوزاعى وانتظرت رأسى أن يسقط بين يدى، فأمرني بالانصراف فلما خرجت إذ برسوله من ورائى وإذا معه مائتا دينار، فقال: يقول لك الأمير استنفق هذه، قال الأوزاعى: فتصدقت بها، وإنما أخذتها خوفاً، وقال الراوى عن الأوزاعى، وكان فى تلك الأيام، الثلاثة صائماً، فقال إن الأمير لما بلغه ذلك عرض عليه الفطر عنده فأبى أن يفطر عنده.

اخترنا أن ننقل هذه الرواية الطويلة التى يحكيها الأوزاعى عن نفسه، وقد عرفنا جرأته على الكذب والاختلاق، ولكنها مع الشك فى بعض أجزائها إلا أنها تعطينا مشاعر الخوف لدى الأوزاعى، ذلك الخوف الذى لا يتفق مع تلك الردود الجريئة للأوزاعى خصوصاً وهو فقيه من فقهاء السلطة السابقة يريد أن ينجو من السلطة القادمة وقسوتها فى الانتقام، ولذلك لا نتصور أن يواجه جبار بنى العباس عبد الله بن على بأن يقول له مثلاً عن الأموال التى سلبها من الأمويين إن كانت فى أيديهم حراماً فهى حرام عليك أيضاً وإن كانت لهم حلالاً فلا تحل لك إلا بطريق شرعى.

إلا أن ذلك الخوف يفرض على فقيه من نوعية الأوزاعى أن يختفى أياماً يجهز فيها دفاعه عن نفسه وتملقه للسلطة الجديدة واستعداده لخدمتها وذلك بشتى الطرق، وإن كان قد جرؤ على أن يدعى أنه يرى الله تعالى فى المنام ويجعل رب العزة يزكيه ويمدحه فإن من السهل عليه أن يدعى حديثاً نبوياً يخترعه اختراعاً يبيح به للسلطة العباسية أن تقتل خصومها بتهم ثلاث: القصاص، والزنا بعد إحصان والخروج عن الجماعة والدين.

ويلاحظ أن الأوزاعى ذكر حديث "إنما الأعمال بالنيات" وحرص على أن يذكر إسناده وروايته بالتفصيل ولكنه حينما ذكر حديث الردة "لا يحل دم امرئ مسلم" فإنه لم يذكر له إسناداً لأنه لم يكن إسناداً حتى ذلك الوقت أو بمعنى آخر لم يكن حديثاً على الإطلاق وإنما اختراع حديث قدمه الأوزاعى هدية يبرهن به للسلطة الجديدة على استعداده لخدمتهم.

ومن الطبيعى أن يقتنع عبد الله بن على بأهمية الإبقاء على الأوزاعى لأنه لن يستفيد من قتله شيئاً، بل ربما يثور عليه أهل الشام الذين يحبونه، ثم أن وجود الأوزاعى فى خدمته أفضل لتأكيد السيطرة على الشام.

ويذكر ابن كثير أن الأوزاعى اجتمع بالخليفة المنصور العباسي حين دخل المنصور الشام وقد أحبه المنصور وعظمه.. ولذلك وصلته الأعطيات والإقطاعيات من العباسيين كما كانت فى عهد الأمويين.

لقد ظلت هيبة الأوزاعى فى الشام تحتل قلوب أهله حتى أن الذهبى فى كتابه "ميزان الاعتدال" تحرج من نقد الأوزاعى فى ترجمته له واكتفى بأن يقول عن مسرور بن سعيد رواية الأوزاعى "غمزه أى هاجمه وطعن فيه– ابن حيان، فقال: يروى عن الأوزاعى المناكير الكثيرة..

أى أن الأوزاعى يروى أحاديث منكرة..

وأفظعها حديث الردة "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزانى، والتارك لدينه المفارق للجماعة ".

لأنه أعطى اثنين من المبررات لقتل النفس لا تستحق القتل، وقد وافق ذلك هوى الدولة العباسية لأنها بهذا الحديث المفترى وجدت غطاءاً تشريعياً للتخلص من خصومها الأمويين ثم الفرس.لقد جاءت الدولة العباسية بمفهوم جديد للسلطة يخالف المفهوم الأموى، فإذا كانت الدولة الأموية تعول أساساً على قانون القوة فإن العباسيين الذين وصلوا للحكم تحت ستار الدعوة للرضى من آل محمد أو تحت شعار أنهم آل البيت كان لهم مفهوم جديد للسلطة هو قانون الشرع. فالخليفة الجديد يحكم بالسلطة الإلهية المستمدة من كونه من آل بيت النبى، والخليفة المنصور العباسى خطب يوم عرفة فقال: "يا أيها الناس إنما أنا سلطان الله فى أرضه أسوسكم بتوفيقه ورشده وخازنه على فيئه أقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه ".

أى يحكم بالحق الإلهى وذلك ما كان سائداً فى العصور الوسطى وفى أوروبا باسم The Divine Right Of Kings ومن الطبيعى أن يؤسس أحكامه على أدلة تشريعية، وإذا كان عسيراً أن يجد هواه فى القرآن فإنه يمكن أن يخترع له فقهاء السلطة ما يريد من الأحاديث والفتاوى....

ولذلك فإن استئصال الأمويين فى السنوات الأولى للحكم العباسى كان بفتوى وحديث الردة الذى يحل دم المسلم بإحدى ثلاث وكلها تنطبق على فلول بنى أمية، فقد قتلوا آل البيت فى كربلاء وقتلوا كل ثائر من ذرية الحسين وآخر ضحاياهم كان إبراهيم المهدى صاحب الدعوة العباسية الذى قتله مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين فى الشام.. إذن ينطبق عليهم من وجهة نظر العباسيين قاعدة النفس بالنفس، ثم انهمك الأمويون فى عصرهم الأخير فى المجون والانحلال الخلقى وكان رائدهم فى ذلك بعض الخلفاء الأمويين مثل يزيد بن معاوية ويزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد ، أى كان من السهل اتهامهم بالزنا بعد إحصان، ومن السهل أيضاً اتهامهم بترك الدين ومفارقة الجماعة خصوصاً وقد اشتهروا بإماتة الصلاة وعدم إقامتها، وكانت صياغة الحديث بهذا الشكل تعبر عن فهم الأوزاعى لمتطلبات السلطة العباسية الجديدة واحتياجاتها فى التخلص من خصومها تحت غطاء شرعى مصطنع والدليل على ذلك رواج حديث الأوزاعى واستخدام السلطة العباسية له فى مواجهة خصومها الجدد وهم الفرس...

فالموالى الفرس هم الذين أعانوا العباسيين على إقامة ملكهم ، وكان أبو مسلم الخرسانى وجنده هم القوة الضاربة للعباسيين ، وحين جاء وقت توزيع الغنائم والمكاسب السياسية استأثر العباسيون بكل شىء وقتلوا أبا مسلم الخرسانى ، فثارت ابنته فى خراسان وظهرت طائفة الأبومسلمية تحارب العباسيين فى شرق فارس ، وكان لهم أتباعهم فى بغداد وفى البلاط العباسى، وبينما واجه العباسيون ثورات الموالى فى شرق فارس بإرسال الجيوش الجرارة فإنهم تتبعوا عملاء الثوار فى بغداد وعمدوا إلى التخلص منهم باتهامهم بالردة أو الزندقة ، ولذلك نشط الخليفة المهدى العباسى فى تتبع الزنادقة وقتلهم بالتهم الثلاث الواردة فى حديث الأوزاعى، وكانت شهرة الفرس بالانحلال الدينى والأخلاقى مما يساعد على اتهامهم وقتلهم وفقاً لذلك التشيع الأوزاعى. والسطور الأولى فى تاريخ الخليفة المهدى العباسى تؤكد حرصه على إبادة الزنادقة وأنه تتبعهم فى كل مكان. والمهدى هو ابن الخليفة أبو جعفر المنصور، ولهذا لا نعجب إذا أصبحت للأوزاعى حظوة عند الخليفة المنصور العباسى أو بتعبير ابن كثير " وقد أحبه وعظمه ".

ولا نعجب أيضاً إذا عامل المنصور العباسى فقيهاً آخر بالاضطهاد والعنت ثم قتله ، إنه الإمام أبو حنيفة الذى يعتبر صورة معكوسة للأوزاعى..

لقد نشأ الأوزاعى فى الشام ينتمى إلى العرب ويخدم السلطة الأموية ، أما أبو حنيفة فقد نشأ فى العراق منتمياً إلى الفرس ويناوئ السلطة الأموية وجاءت الدولة العباسية وسرعان ما أصلح الأوزاعى شئونه معها وصار صاحب حظوة عند الخليفة المنصور.

أما أبو حنيفة الذى ناوأ الدولة الأموية وتحقق أمله فى القضاء عليها فإنه لم يلبث أن حدثت الفجوة بينه وبين الخليفة المنصور فاضطهده وقتله بالسم .

فى حياته فى الدولة الأموية كان أبو حنيفة يناصر الثورات الشعبية العلوية ضدها ومنها ثورة زيد بن على زين العابدين سنة 121 وانتبهت له الدولة الأموية، وأراد الوالى على العراق ابن هبيرة أن يختبر ولاءه للأمويين لأنه لم يكن لديه دليل واضح على اشتراكه الفعلى فى ثورات العلويين، وفى ذلك الوقت كان العراق يموج بقلاقل ضد الأمويين فجمع ابن هبيرة فقهاء العراق ومنهم أبو حنيفة وأسند لكل واحد منهم عملاً وجعل فى يد أبو حنيفة الخاتم أو السلطة على كل الفقهاء، فلا أمر إلا بإذنه، ووافق الفقهاء على خدمة الدولة ماعدا أبو حنيفة، فهدده ابن هبيرة بالضرب والعذاب فأبى، فقال له الفقهاء: "إنا ننشدك الله أن تهلك نفسك فإنا أخوتك وكلنا كارهون لذلك الأمر" فقال أبو حنيفة: " لو أرادنى أعد له أبواب مسجد واسط لم أدخل فى ذلك، فكيف وهو يريد من أن يكتب دم رجل يضرب عنقه وأختم أنا على ذلك الكتاب؟ فوالله لا أدخل فى ذلك أبداً...!" وأمر ابن هبيرة بضرب أبى حنيفة وحبسه، فلما يأس منه أطلق سراحه، فهرب أبو حنيفة إلى مكة، وظل فيها إلى أن قامت الدولة العباسية، فجاء للكوفة فى خلافة أبى جعفر المنصور .

وكان طبيعياً أن تحتفل به الدولة العباسية لمواقفه مع آل البيت ومقاومته للدولة الأموية وكونه من ضحاياها، لذلك قربه الخليفة المنصور وكان يستشيره، إلا أن محاولة المنصور استغلال أبى حنيفة وجبروت المنصور فى التنكيل ببنى عمه العلويين عند ثورة محمد النفس الزكية سنة 145 جعل العلاقة تسوء بين الخليفة والفقيه الحر..

فقد اتهم المنصور أبا حنيفة بأنه يثبط القواد العباسيين عن حرب محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم ، وراح المنصور يخطط للإيقاع بأبى حنيفة فى الوقت نفسه الذى كان أبو حنيفة يفتى بما يعتقده حقاً وهو يعرف أن الخليفة لا يريد إلا الفتاوى التى تساعده فى حكمه.كان المنصور قد اشترط على أهل الموصل أنهم إذا ثاروا عليه فإن دماءهم حلال ، وثار أهل الموصل سنة 148 فجمع المنصور الفقهاء وفيهم أبو حنيفة وقال لهم: أهل الموصل قد شرطوا ألا يخرجوا علىّ وهاهم قد خرجوا وحلت لى دماؤهم، فقال الفقهاء: إن عفوت فأنت أهل للعفو وإن عاقبت فبما يستحقون، ولكن أبا حنيفة قال: يا أمير المؤمنين ليس لك أن تشترط عليهم سفك دمائهم، أرأيت لو أن امرأة أباحت جسدها بغير عقد نكاح أيجوز لها ذلك؟ فقال الخليفة: لا.. وأمر الخليفة بانصراف الفقهاء ثم قال لأبى حنيفة: لا تفت الناس بما هو شين على إمامك فتقوم الثورات وتبسط أيدى الخوارج .

ويلاحظ أن أولئك الفقهاء الذين نافقوا المنصور هم الفقهاء انفسهم الذين أبدوا استعدادهم لخدمة ابن أبى هبيرة والى العراق للأمويين وكان منهم ابن أبى ليلى وابن شبرمة وابن أبى هند، وكانوا أعلام الفقهاء فى العراق. ومن الطبيعى أن يحقدوا على أبى حنيفة استقلاله واستقامته لذلك استجابوا لدعوة أبى جعفر المنصور، فانطلقوا يهاجمون أبى حنيفة ويتهمونه بإنكار الأحاديث، تلك الأحاديث التى اصطنعوها من أجل خدمة السلطة العباسية، وتوفير الغطاء (الشرعي) لتصفية خصومها والتنكيل بهم . و قد تطرف ابن أبى ليلى فى النيل من أبى حنيفة حتى يقول فيه أبو حنيفة: "إن ابن أبى ليلى ليستحل منى مالا استحله من حيوان"!!

وأتت تلك الحملة ثمارها إذ هيأت الفرصة للمنصور فى اغتيال أبى حنيفة بالسم بعد أن سجنه وضربه مائة وعشرة أسواط سنة 150 هـ .

ولكن ما علاقة ذلك بالأوزاعى ؟

إن الاختلاف بين الأوزاعى وأبى حنيفة فى الشخصية والسيرة الذاتية والمواقف من السلطة الحاكمة انعكس على المنهج الفكرى لكل منهما..

أبو حنيفة كان حريصاً على صيانة الأنفس والدماء وكان بالقدر نفسه يرفض الأحاديث الكاذبة وإذا اتهموه بأنه ينكر السنة ويكذب الأحاديث المنسوبة إلى رسول الله كان يقول: "ردى على كل رجل يحدث عن النبى بخلاف القرآن ليس رداً على النبى ولا تكذيباً ولا إنكاراً لسنته المطهرة ، ولكنه رد على من يحدث عنه بالباطل" .

أما الأوزاعى الذى عاصر أبى حنيفة فقد كان يحدث عن الرسول مناكير أى أحاديث ينكرها من يسمعها كما قال الذهبى فى ميزان الاعتدال، وكان يفترى أحاديث عن رب العزة و بالقدر نفسه كان يفتى للحاكم باستحلال الدماء، كما أفتى للخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بإرتداد غيلان الدمشقى ووجوب قتله .. ثم أفتى للعباسيين باستحلال دماء الأمويين تطبيقا لحديث حد الردة الذي سبق للأمويين استخدامه في قتل وإضطهاد معارضيهم.. ولذلك عاش الأوزاعي فى كنف مجازر الأمويين ثم العباسيين ضد خصومهم معززاً مكرماً .. بينما لقى خصمه الإمام أبو حنيفة صنوف الاضطهاد من الأمويين ثم من العباسيين حتى مات مسموماً .

ومن الطبيعى أن يحدث تنافر بين أبى حنيفة والأوزاعى .

فالأحاديث التى كان يرويها ـ أو يفتريها الأوزاعى ـ كان يرفضها أبو حنيفة، وكانت بينهما مناقشات وحوارات فى رفع الأيدى عند الركوع وعند القيام منه.. وكان أبو حنيفة يقدم الرأى والقياس أى اجتهاده الشخصي على أحاديث الأوزاعى وغيره..

وكان الأوزاعى يرد عليه ويقول: إننا لا ننقم على أبى حنيفة أنه رأى ـ أى يقول بالرأى ـ فكلنا يرى (أى كلنا يقول بالرأى والاجتهاد) ولكننا ننقم عليه أنه يجيئه الحديث عن النبى فيخالفه إلى غيره .

الأوزاعى يعتقد أنه طالما اخترع حديثاً فقد أصبح حديثاً قاله الرسول ، وبالتالي يكون الأوزاعي قد فرض نفسه ناطقاً رسميا باسمه !! أما أبو حنيفة فقد كان يقول فى الرد على الأوزاعى وغيره من فقهاء السلطة : "ردى على كل رجل يحدث عن النبى بخلاف القرآن ليس رداً على النبى ولا تكذيباً له ولكنه رد على من يحدث عنه بالباطل"!!.

وبوسع القارئ الكريم أن يقرأ في الجزء التالي من هذا المقال مناقشة علمية وفقهية لحديث عكرمة والأوزاعي عن حد الردة .. والله من وراء القصد .

.. يتبع غداً

□ أكاديمي أزهري ومفكر إسلامي مصري

نعم.. الانتحاريون مسلمون !

السفير/ مصطفى أحمد النعمان □

لا أدري ما الذي يدور في جمجمة الانتحاري الذي قذف بنفسه وقتل ظلما وعدوانا مجموعة من السياح الأبرياء، ومرافقيهم من اليمنيين، بالقرب من معبد ملكة سبأ في مأرب.. لكن الذي أنا مقتنع به، أن هذا القاتل هو نتاج المدرسة العربية التي مجدت أمثاله من الانتحاريين الذين انتشروا في بقاع الأرض، بعد أن حصلوا على شهادات دخول الجنة من الفقهاء والإعلام العربي..

حذرنا كثيرا، من أن خريجي هذه المدرسة التي لا تؤمن إلا بالموت قتلا، سيعودون الى أوطانهم، بعد أن تلقوا تدريبات ميدانية في أرض العراق الذي صار معهدا لتأهيلهم وتمكينهم من وسائل الموت الجماعي.

الإعلام العربي الذي يفاخر بهؤلاء الأبطال ويطلق عليهم كل مفردات الشجاعة والفروسية، ويصفهم بالمقاومة، هو الذي يتحمل مسؤولية نحر الأبرياء المسالمين الذين قدموا الى ديارنا للراحة والاستجمام، وهم لا يعلمون أن انتحاريا ينتظرهم ليأخذهم الى حتفهم، ويذهب قرير العين الى الجنة التي وعده بها الإعلام العربي، وفقهاء الفضائيات، وفقهاء السلاطين .

العالم العربي مقبل على مرحلة يسيطر فيها الجنون، والعنف، والقتل، لأن ما زرعه الإعلام والقائمون على أمر التعليم في مدارسنا، لا يمكن أن تكون مخرجاته سوية، وصحية.. كيف ننتظر أن يتحول طالب صغير ملأ فقيه أبله جمجمته الغضة بقصص الجهاد ضد الكفرة والملحدين، الى إنسان مسالم يبحث عن دور في الحياة، ولا يتوقف تفكيره عند حدود البحث عن طريقة سريعة لدخول الجنة!!

عندما وقعت تفجيرات الرياض والخبر، ثم القاهرة، وتونس، والمغرب، واليمن، صرخ الجميع، وذرفوا الدموع، وادانوا وشجبوا.. وبعد ايام انتهى الأمر، ونسى الإعلام الرسمي دوره الحقيقي في التوعية من مخاطر هؤلاء الحمقى.. وعاد صحفيو الحكومات العربية الى دورهم المعتاد في الخطاب الدعائي المكرر والممجوج.. لم نسمع أحدا يتحدث عن جذور هؤلاء القتلة، ولا من يقف وراءهم، ولا من الذي منحهم الحماية، وصك لهم فتاوى التأمين ضد جهنم!!

قبل يومين فقط، قادت الصدفة الى انقاذ مدينة لندن من تفجيرات كادت تؤدي بحياة المئات من الإبرياء.. فإذ بعدد من إعلاميي العالم العربي، يشككون في حقيقة الأمر.. بل ويسخرون من العملية برمتها، ويحيلون الأمر الى الحقد البريطاني على المسلمين، والعرب.. ويقذفون الحكومات الغربية التي فتحت أبوابها أمام الهاربين من البطالة والفقر في بلدانهم، بالكفر والاستغلال.. لم نسمع بإدانة عربية واحدة، ولو من باب المجاملة.. وأعلم أن هناك من يبتسم لوقوع انفجار في أي عاصمة غربية، ويستمع الى فتاوى تفسر الأمر، وتبسطه، وتؤكد للعامة بأنه رد فعل طبيعي لما يوقعه الغرب بنا..

يا سادتي، التعليم الذي يقوم على أمره من لا يعلم مكوناته وأسسه التربوية،.. والإعلام الذي يقض مضاجعنا حديثا عن الخرافات، وينشر السموم في أدمغة الناشئة، وتنفق الحكومات لتشغيله أكثر من مصروفاتها على الصحة والتعليم.. والمؤسسات التعليمية الدينية، التي لا رقيب عليها ولا حسيب، بل وتقوي الدول شوكتها على حساب المؤسسات الثقافية المتنورة، وتدعمها بالمال العام، وتغض الظرف عن أهدافها البعيدة والقريبة.. هذه هي الآفة التي ستدفع الأجيال القادمة ثمنها، ولن ينجو أحد منها في مدينة أو قرية.

نعم، هم مسلمون الذين يقتلون أبناءنا وأحلامهم..

نعم، هي مسلمة الحكومات العربية، التي استخدمتهم غير مرة لأغراضها الخاصة..

نعم، السلطات العربية المسلمة استخدمت ، في أكثر من قطر عربي هؤلاء القتلة، وتناست أفعالهم، ومنحتهم صكوك الغفران..

نعم، كلنا نعلم من يقف وراءهم ، ويدعمهم، ويتستر على إرهابهم..

لا يجدي حوار مع هؤلاء، ولا تهاون ..فهل نتوقع أن تمنح الحكومات العربية لمخالفي الفكر المتطرف، مساحة حرية مساوية لما أعطته لهؤلاء..؟؟ وهل نرى يوما أن صاحب فكر حر مستنير، يمكنه الحديث الى المواطنين عبر أجهزة الإعلام الرسمية؟؟.. وهل سيأتي يوم قريب، يكون فيه التعليم مفضيا الى حرية في التفكير، والتعبير؟؟.

عندما يحدث كل ذلك، سيكون العالم العربي مؤمنا ضد الإرهاب، ولن نسمع حينها عن انتحاري يبحث عن ضحايا يقتنصهم، ويقتص منهم، لفعل لم يرتكبوه ولم يشاركوا في صنعه.

□ سياسي ودبلوماسي يمني

من أرسل شبابنا إلى محارق الانتحار؟

مشاري الذايدي □

45 شاباً سعودياً يقاتلون مع تنظيم «فتح الاسلام» الارهابي في مخيم نهر البارد، قتل منهم حتى الآن 23 شاباً، ودفنوا في قبر جماعي، ذلك ما قاله مسؤول سر منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان.

ما الذي أتى بهؤلاء الى اقصى الشمال اللبناني؟! ما الذي «حشرَ أنوفَهم» في تعقيدات لعبة الشطرنج اللبنانية؟! ماذا يهمهم في صراعات 14 آذار مع المعارضة اللبنانية بقيادة حزب الله؟

هل أصبح الشباب السعودي «حطبا» جاهزا للاستخدام في كل نار تشتعل هنا او هناك؟ هل هؤلاء الشباب ضحايا أم جناة؟! ام انهم ضحايا وجناة في الوقت نفسه؟

الاكيد ان «اغلبهم» وليس كلهم سذجاً يصدقون بسرعة، وينفذون بسرعة، وينسون بسرعة، لكن ما هي الماكينة التي تنتجهم؟ ومن يشغّلها؟ ومن يجري لها عمليات الصيانة كلما اوشكت على التوقف او التلف!؟

أطرح هذه الاسئلة، وأنا ادرك تماماً ان هناك من المتطفلين الاصوليين على قضايا غيرهم، كثير من غير السعوديين، يكفي ان نتذكر الأردني الزرقاوي والمصري حمزة المهاجر، والسوري أبا مصعب، والمغربي كريم المجاطي في السعودية، أعرف هذا، ولكنه لا ينفي ان هناك حضورا زائدا للعنصر السعودي في حفلات النار الارهابية في كل مكان.. ألم يكن 15 من اصل 19 نفذوا «كارثة» 11 سبتمبر من السعوديين؟

وفي العراق، ألسنا نسمع كل يوم ـ تقريبا ـ عن سعودي شارك مع «القاعدة» او هو يُحاكم لتهم قاعدية او هو مسجون بسبب ارتباطه بالعمل الاصولي العسكري!؟

لا يجوز ان نتغاضى عن كل هذه الحقائق او نتجاهلها.. هناك «مشكلة» تجعل من الميسور تجنيد هؤلاء الشبان السعوديين والزج بهم في كل مشاكل العالم، طبعا بعد وضع الدمغة الاصولية عليها، وتحويل كل ازمة سياسية في العالم الى «بدر» جديدة، تتطلب رجالا يبايعون على الموت، وهم كثر، يحبون الموت حبّ الاعداء الحياة، كما تقوله العبارة الشاعرية الشهيرة.

ألم يخرج بعض شيوخ الدين في السعودية ويقولون صراحة ان بن لادن «مجتهد مخطئ»، هكذا بكل رقة ونعومة! وكأن هذا «البنلادن» لم يحرق العالم الاسلامي ويرجعه قرونا الى الوراء، فوق رجوعه الاصلي!!.

الم يكن بن لادن لدى كثير من «الدعاة» وأهل الخير، عقب غزوة مانهاتن ينظر اليه باعتباره أمير المجاهدين وصلاح الدين الجديد، ولم تهدأ هذه العاصفة الوحشية من المشاعر الا بعدما وجه بن لادن قنابله الى السعودية، واصبح تلاميذه يهددون باقامة إمارتهم ويصرحون بتكفير الدولة؟ حينها، فقط، «تراجعت» مشاعر التأييد لزعيم «القاعدة»، ولا اقول تلاشت!

ان الحيرة التي تصيب الجميع في مواجهة «القاعدة» وايقاف التفريخ لشبانها، مردها الى ان العلاج المطلوب لشوكة الفكر القاعدي، هو علاج جذري وحساس، ومكلف، وربما لا يوجد المال العاطفي والسياسي والاجتماعي الكافي للانفاق على هذا العلاج.. تلك هي الحقيقة المؤسفة، وتلك هي الحقيقة التي طالما كررت وقيلت منذ ان انشقت الارض عن شياطين «القاعدة».

لن ينفع ان يخرج لنا البعض ليقولوا انكم «تضخمون» الاشياء، وان هؤلاء الشباب «شرذمة قليلون، وان الامر كله تحت السيطرة، وان المشكلة محدودة، طبعا هذا اذا اقروا من الاساس بأن ثمة مشكلة».

هناك حالة التفاف وهروب من الرؤية، عبر تكتيك اثارة الغبار الوهمي، وإلهاء المجتمع والرأي العام بمعارك وهمية كاذبة. اتحدث هنا عن السعودية على سبيل المثال، مع أن نفس الشيء قد ينطبق على بلدان اخرى مثل مصر، بدرجة ما، ففي السعودية، وبقدرة قادر، صارت ازمة المجتمع الحقيقية هي وجود علمانيين يريدون ان يجعلوا السعودية بلا إسلام، وان هناك من يريد ان يجعل من المرأة سلعة رخيصة للشهوة والفجور.. وهكذا في تبسيط غير بريء، والهاء متعمد، يمضي النافخون في بوق الغبار، ولا يتوقفون، الا بعدما يأتي حدث ارهابي ضخم يوقظ الجميع من الغفوة، لكن سرعان ما تعود حليمة لعادتها القديمة، ويستأنف هذا المسلسل الممل الضار، والعنيد.

والحق انه لم يطالب أحد ممن يعتد به من اهل الرأي في السعودية بعلمنة البلد، هذه اكذوبة، جل ما طلبه بعض المثقفين والكتاب، بل وحتى من هم من اهل الفقه والعلم الديني، هو اعادة النظر في بعض الشروط الدينية والاجتماعية، وفتح الأفق الاجتماعي، وتخليص التنمية من التسييس الديني، والعبور الى المستقبل من دون وجل أو خوف، وقبل هذا وبعد هذا كله، طلب صغير ومتواضع: اضمنوا لنا ان شبان السعودية لن يكونوا حطبا في نار الارهاب العالمي. هل هذا كثير؟

بالنسبة لكل بريء وعفوي هو طلب ضروري ومصيري، وليس فقط انه كثير او غير كثير، ولكنه بالنسبة الى من هو مستفيد من بقاء الامور الاجتماعية والدينية كما هي، يعتبر مطلبا خطيرا ومهددا لأنه يعني انقشاع سحاب الهيمنة والوصاية باسم الفضيلة والغيرة الدينية على سائر الناس.

ربما كان هذا الامر مقبولا، وهو غير مقبول على كل حال، في زمن ما قبل الارهاب، اما وقد اصبح المثل القائل «في كل عرس قرص» يكاد ينطبق علينا، فهنا يجب ان تحدث وقفة صدق مع النفس.

حينما يقال هذا الكلام، فإنه يقال من منطلق الحب والحرص على حماية البلد وأمنه، من زلازل السياسة وعواصف الارهاب التي تضرب هنا وهناك، وليس من باب التشفي، معاذ الله، بل لأن الأمور وصلت الى حد يُعتبر فيها السكوت او المجاملة نوعا من انواع المشاركة في الجريمة.

السعودية عملاق كبير، لكن هناك من يريد الغاء هذه الجوانب من الصورة المشرقة، وان لا يعرف العالم من السعودية الا صورة بعض الشبان الجاهزين للاستخدام الارهابي، تارة من قاعدة الزرقاوي في العراق وتارة من قاعدة العبسي في لبنان..

مَنْ اجل ذلك نقول: من يحفظ هؤلاء الشباب؟ ومَنْ يستردُّ عقولهم قبل أجسادهم، حتى لا نُفاجأ بدفعة أخرى منهم، في مكان ما من العالم؟؟.

□ نقلا عن / صحيفة (الشرق الاوسط) اللندنية

مواقع "القاعدة" الإلكترونية ترعاها أميركا!

فارس بن حزام □

ما لا أستوعبه البتة أن تدار مواقع تنظيم "القاعدة" وملحقاتها على الانترنت تحت المظلة الأميركية. هذا ما تقوله عملية بحث وتحرّ سريعة حول هذه المواقع.

فكل موقع إلكتروني لابد له من شركة تستضيفه، وهذه الشركات عادة ما تكون أميركية أو أوروبية أو حتى شرق آسيوية. يتقدم إليها صاحب الطلب، ويسدد لها رسوم الاستضافة، فصلياً أو دورياً، عبر البطاقة الائتمانية.

العملية غير معقدة، يقوم بها أي فرد، لكن متى ما كانت هذه المواقع مشبوهة أمنياً، فلا أسهل عند الشركة من قرار إلغاء الاستضافة، وهذا ما لا تفعله الشركات الأميركية في استضافتها مواقع "القاعدة".

أبرز الأمثلة في القصة الغريبة هو موقع "الحسبة"، الحاضن الرئيس والمسوق الأول لكافة أنشطة "القاعدة" والتنظيمات المشابهة. وأول من يبث بياناتهم المكتوبة والمرئية والسمعية.

تقول البيانات الخفية لموقع "الحسبة" إنه تأسس في 25 أغسطس 2003. أي بعد سبعة أشهر من بدء احتلال العراق، وإن آخر تحديث وتواصل بين الموقع والشركة المستضيفة كان في 10 مايو الماضي، وتحديداً عند الساعة التاسعة والخامسة والعشرين صباحاً بتوقيت ولاية تكساس الأميركية، وخاتمة المعلومات أن صلاحية الاستضافة تنتهي في 25 أغسطس المقبل، وتحديداً أيضاً، عند الساعة الثامنة والتاسعة والأربعين دقيقة مساء من التوقيت ذاته.

الشركة التي تستضيف "الحسبة" ومواقع أخرى مشابهة ليست مجهولة، بل لها موقع واضح وعنوان يسهل الوصول إليه، ولا أظن أن من يريد الوصول إلى مكان اختباء أسامة بن لادن يعجز عن الوصول إلى مقر الشركة، حيث الولاية ذاتها، التي أتى منها الرئيس الأميركي جورج بوش وإليها سيعود.

ولا أظن الاستضافة مجانية، فلابد من رسوم، من يدفع هذه الرسوم، وعلى الدوام وبلا انقطاع؟ لابد أن الدفع عبر بطاقة إئتمانية. بطاقة من هذه؟

النظرة الأمنية الخاطئة، أو حتى الغبية أيضاً، قد تقول إن بقاء هذه المواقع وعدم إلغاء استضافتها عائد إلى الحاجة الأمنية لتتبع العناصر الخطرة وكشف خفايا التنظيمات.

التعامل الخاطئ والمعالجة السطحية يسمحان لأفكار التنظيم بالتغلغل في عقول الشبان والشابات، فالخطر لا ينحصر في حدود عناصر التنظيم المشاركة بالكتابة، بل يمتد إلى عامة القراء من روادها، والذين مع الوقت يتحولون إلى مشاركين بالكتابة وصولاً إلى ما بعدها، وليس أدل على ذلك إلا كم المجندين والمسافرين إلى العراق ولبنان من رواد هذه المواقع، وما يتكشف من دور الانترنت في عمليات التجنيد الأخيرة. وأضعف الإيمان في هذه الخطيئة الأمنية هي إفشاء روح "القاعدة"، وتوسيع دائرة مريدي أفكارها.

الفكر المؤامراتي يدفعك إلى الأخذ بقصة اللعبة الأميركية الكبيرة في حكاية "القاعدة"، خاصة حين تتذكر قصة طالب سعودي اسمه سامي الحصين سجن في أميركا بسبب موقع إلكتروني إسلامي، هو بعيد عن أفكار هذا التنظيم تماماً، وفي الوقت ذاته لا نرى أي دور للسلطات الأميركية تجاه هذه الشركات المستضيفة.

□ عن جريدة "الرياض" السعودية